قراءة فقهية في تدريس التربية الإسلامية

للدكتور عطية عبد الحليم صقر(*)

تقديـــم:

١- إن التربية الدينية الإسلامية، ليست كسائر العلوم النظرية والتطبيقية من حيث:

- إن مصدر التربية الدينية الإسلامية هو وحى السماء، ومصدر سائر العلوم النظرية والتطبيقية هو: اجتهاد العقل البشرى.

- ومن حيث أن مجال عمل التربية الدينية الإسلامية هو الدين، ومجال عمل العلوم النظرية والتطبيقية الأخرى، هو مصالح الناس الدنيوية المتغيرة. والتى تتغير اجتهاداتهم تبعا لتغيرها.

٢- وإذا كانت التربية الدينية الإسلامية تختلف في جوهرها وطبيعتها عن سائر العلوم النظرية والتطبيقية، وتلك حقيقة ثابتة، فمن المنطقى بل من الواجب أن تختلف طريقة إعداد معلم التربية الدينية الإسلامية عن طريقة إعداد معلم سائر العلوم النظرية والتطبيقية، ومن المنطقى كذلك بل من الواجب أن تختلف طرق تدريس التربية الدينية الإسلامية عن طرق تدريس سائر العلوم النظرية والتطبيقية.

وقد كتبت هذه السطور لأنقد موضوعيا مايلى:

(*) كلية الشريعة والقانون القاهرة.

(أ) الاستعانة بنظريات غير المسلمين من علماء مناهج وطرق تدريس العلوم النظرية والتطبيقية، وحمل طالب التربية الدينية الإسلامية على هذه النظريات في كيفية وطرق تعلمها وتعليمها.

(ب) ما يتجه إليه جانب من علماء مناهج وطرق تدريس التربية الدينية الإسلامية من نقد وإبطال ما أمر به المشرع الإسلامي الحنيف، من طرق لتعليم الدين للناس، تحت دعاوى التحديث والتطور.

٣- ولم اكتف في هذه القراءة بالنقد الموضوعي لما تقدم، بل قدمت ست طرق لتدريس التربية الدينية الإسلامية، مستنبطة من القرآن والسنة، مع تقديم نماذج لهذه الطرق.

٤- وإن ما دفعني إلى كتابة هذه السطور، إنما هو الرغبة في صيانة قواعد الدين من تجارب العقل البشري، والعودة بطرق تعلمه وتعليمه إلى مصادره الأصلية من القرآن والسنة.

والله حسبي ومنه التوفيق والسداد.

٥- ماهية التربية الدينية الإسلامية:

يجمل منا منذ البداية أن نتفق على تعريف واحد للتربية الدينية الإسلامية، وفقا للغرض من تدريسها، وهل ندرسها كعلم له قواعده وأصوله؟، أم ندرسها كثقافة عامة حتى تكون شيئا من لاشيء؟ أم أن تدريسها يقع في نطاق الوعظ والإرشاد؟

واعتقادي أن من مصلحة المعلمين، أن ننظر إليها كعلم، واعتقادي كذلك أن هناك أسبابا أخرى لتدريسها كعلم يقع في مقدمتها: تحقيق التوازن النفسي والروحي لناشئة المسلمين. ومن هذا المنطلق فإنني أعرفها بأنها:

«العلم الذى يعنى بغرس وتثبيت أصول العقيدة والشريعة في وجدان ناشئة المسلمين تدرجا مع سنى عمرهم».

٦- ومادمنا قد اتفقنا على أن التربية الدينية الإسلامية علم له قواعده وأصوله، فمن الضرورى أن نبحث عن طريقة أو طرق لتعلمه وتعليمه، تتناسب مع طبيعة هذا العلم وخصائصه. ولكن علينا قبل ذلك أن نحدد نطاق أو مجال عمل هذا العلم.

٧- نطاق أو مجال عمل التربية الدينية الإسلامية:

بدون الدخول في مقارنة التربية الدينية الإسلامية كعلم، بسائر العلوم الإنسانية الأخرى، من حيث الأهداف والمصادر، فإن هذا المجال يتحدد في قواعد الدين: أوامره، ونواهيه، حلاله وحرامه، فرائضه وواجباته، محظوراته ومباحاته.

إن المصادر الرئيسية التى نستقى منها أحكام وقواعد هذا العلم هي: القرآن والسنة وإجماع الفقهاء، إن أحكام وقواعد هذا العلم في مجملها ربانية، لا دخل للعقل البشرى في وضعها، ولا يملك أحد تعديلها أو إلغائها، إنه الدين الذى أكمله الله ورسوله، ورضيا منا أن نتقرب إلى الله على وفق مراده ومقتضاه. قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى، ورضيت لكم الإسلام دينا﴾. قال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه....﴾

٨- منهج الوحي في تعليم الناس أمور دينهم:

مادمنا قد اتفقنا على أن التربية الإسلامية علم له قواعده وأحكامه، ومادمنا قد اتفقنا على أن منطقة عمل هذا العلم وبيئته وأحكامه ومصادره هو الدين، إذن فعند بحثنا لطرق تدريس هذا العلم، الذى هو الدين فإن العقل والمنطق السليم يفرض علينا أحد خيارات ثلاثة أو الثلاثة مجتمعة وهي:

(١) يفرض علينا أن نأخذ طريقة أو طرق تدريس الدين من مصادر هذا الدين وقد قال تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ ولا أقول: فإذا لم نجد في كتاب الله طريقة لتدريسه، ولكن أقول.. فإذا عجزنا عن الوصول إلى هذه الطرق من كتاب الله، وجب علينا أن ننتقل إلى سنة رسول الله لنرى كيف كان هو عليه الصلاة والسلام يعلم أصحابه أمور دينهم، ثم نقتدى به في تعليم أمور الدين للناس ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ ونحن في ذلك لا نكون مبتدعين، بل نكون متبعين للوحى، فما دام الرسول قد سلك هذا الطريق في تبليغ الدين وتعليمه للناس، وارتضت السماء بذلك فإن مسلكه يكون وحيا يجب اتباعه فيه، لأن الوحى لا يقره على خطأ، والقرآن الكريم يعتب له لاعليه في طريقة من طرق تدريسه (صلى الله عليه وسلم) للدين، قال تعالى: ﴿عبس وتولى، أن جاءه الأعمى، وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى، أما من استغنى.. فأنت له تصدى، وما عليك ألا يزكى، وأما من جاءك يسعى، وهو يخشى، فأنت عنه تلهى، كلا إنها تذكرة...﴾ وأقول:

فإذا عجزنا عن معرفة طرق النبى (صلى الله عليه وسلم) في تعليم قواعد الدين وجب علينا أن ننظر كيف كان صحابته وتابعوه يعلمون الناس أمور دينهم، فهم أعلم الناس بحكمه وأسراره، وقد وصلوا في حضارتهم

ورقيهم ما نعجز نحن عن الوصول إليه، فلا يساغ لنا بجهلنا وعجزنا أن نقول بأن عصرنا يختلف عن عصرهم، فالزمان وإن اختلف، والمكان وإن تغير. إلا أن الدين واحد لم يطرأ عليه أي تغيير، وهم أعلم به منا.

فإذا أعيتنا الحيل وعجزنا عن الاقتداء بكتاب الله وسنة رسوله وعمل الصحابة والتابعين وأئمة الفقه الإسلامي في تعليم الدين للناس وتمسكنا بالجدل والعناد في تدريس قواعد الدين بما نسميه طرقا مناسبة لعصرنا، وجب علينا الخيار الثاني من الخيارات الثلاثة التي أشرت إليها وهو:

(٢) ألا تتعارض هذه الطرق مع نص صريح من كتاب أو سنة لأنه لا اجتهاد مع النص، فإذا كان الله الذي شرع لنا هذا الدين، وإذا كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذي بلغه للناس وأكمل أركانه بسنته قد قال لنا لا تسلكوا هذا الطريق في تبليغ الدين وتعليمه للناس لعلة أذكرها لكم أو أخفيها عليكم، فيجب علينا حينئذ أن نهدر هذا الطريق حتى لو كان صالحا لتدريس علوم إنسانية أخرى، إذ لايجوز لنا أن نعصي الله ورسوله عند تبليغنا لأوامره ونواهيه قال تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم...﴾ وقال: ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير﴾ وقال: ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون، حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أما ذا كنتم تعملون﴾.

فإذا استمرأنا الجدال حول قضية تحديث الإسلام والنهوض به إلى ركب حضارة القرن العشرين ومابعده، فليس أمامنا إلا الخيار الثالث وهو:

(٣) إن نأخذ العلم من أعلامه، فأهل كل فن أدرى بأسراره، وعلى أضعف الإيمان لا نقتدى بأئمة الكفر في تدريس الإسلام، فقد نهانا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن ذلك في قوله: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء» والمعنى: عن شيء من أمور دينكم، وقد عنون الإمام البخارى في صحيحه في الجزء التاسع ص ١٣٦ في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، لهذا الحديث الشريف بعنوان: باب قول النبى (صلى الله عليه وسلم): «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء» ومن ضمن ما أورده الإمام البخارى في هذا الباب حديثين.

الأول: عن أبى هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوارة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم.. آية».

أما الحديث الثانى فقد أورده البخارى بسنده أن ابن عباس قال: كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذى أنزل على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أحدث تقرأونه محضا لم يُشَبْ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، ألا ينهاكم ماجاءكم من العلم عن مساءلتهم، لا والله مارأينا منهم رجلا يسألكم عن الذى أنزل عليكم» راجع صحيح البخارى.

وأقول:

إن هذا الحديث نهى صريح عن اللجوء إلى أهل الكتاب لنعرف منهم أمور ديننا، وقد جاء هذا النهى بيانا وتأكيدا لنهى آخر ورد في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون﴾ وأقول:

أليس من الخرابة والعجب أن نلجأ إلى: «ثيودورم هيرج، جون ديوى، دينيس تشايلد، رونالدب هايمان، وليام جيمس، جانييه، وكلوزماير وغيرهم» في تعلم وتعليم ديننا، ونترك مالك وأبى حنيفة والشافعى وأحمد وجابر بن زيد والشماخى واطفيش والسالمى وغير هؤلاء من أئمة وإعلام وفقهاء المسلمين الذين يتجاوزون المئات بل الآلاف، ألم نقف عند واحد منهم على طريقة لتعليم الدين ﴿واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله. . . .﴾ صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم حين قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جُحْر ضب تبعتموهم» وأقول:

أنا لا أعيب على أهل الكتاب في عملهم، وليس لى أن أقيم علمهم بل ولا أقدر على ذلك، بل وأدعو إلى الاستفادة من نظرياتهم، ولكن ليس في علوم الدين، ولتطبق هذه النظريات في العلوم التجريبية والإنسانية الأخرى أما في علوم الدين فلا.

٩- نقد بعض الطرق الحديثة في تدريس الدين:

إن الناس في زماننا قد استنوا طرقا حديثة لتدريس العلوم الإنسانية والتجريبية منها طريقة المناقشة والاستنباط أو الاستنتاج وغيرها ودعوا إلى نبذ طريقة التلقين والحفظ، ومع أحترامى وتقديرى لما توصلوا إليه من آراء ونظريات، صحت في نظرهم عند تجربتها على العلوم الإنسانية والتطبيقية، إلا أننى أضع بين ناظريك عزيزى القارئ نصوصا من القرآن والسنة وأنا كمسلم إذا قال الله ورسوله لى قولا أقول: صدق الله ورسوله وكذب وأخطأ جانييه وكلوزماير ومن تبعهما، وهاك هي النصوص:

(١) قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا: هذا الله خالق كل شيء فمن خلق الله» وهذا الحديث الشريف رواه الإمام البخارى في صحيحه بسنده في باب مايكره من كثرة السؤال وتكلف مالايعنيه وقوله تعالى: ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾.

وأقول:

إن الفرض في هذه المسألة إن مدرس التربية الإسلامية سيشرح درسا من دروس العقيدة لأحد صفوف المراهقة في مرحلة التعليم الثانوى وفقا لطريقة المناقشة والاستنباط والاستنتاج، من الذى أدراه أن الزمام لن يفلت من يده، وأن المناقشة لن تقود الحاضرين إلى حالة الكفر التى ورد النهى عنها في الحديث المتقدم، أليس من الأفضل بل الواجب أن نسد الذريعة ولا نأخذ بهذه الطريقة في تدريس العقيدة؟؟؟

يا قوم: إن العقل البشرى عاجز عن إدراك المغيبات، فكيف يسأل عنها ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى﴾.

«يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله».

«يسألك الناس عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى».

«إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا، وما تدرى نفس بأى أرض تموت، إن الله عليم خبير».

«أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل».

«كان صلى الله عليه وسلم ينهى عن القيل والقال وكثرة السؤال»

وأقول:

١٠- لننظر إلى الهدى النبوى في تعليم الدين بطريقة السؤال لنرى: إنه كان (صلى الله عليه وسلم) في أمور العقيدة وكذا الشريعة على نحو ما سيأتى بعد قليل يطرح السؤال لا ليجيب عليه أحد، ولكن ليتولى هو الإجابة عنه ولا ليطلب من أحد إجابته وإنما ليشوق السامع، ويستحضر في قلبه وذهنه التطلع إلى هذا الأمر الذى سيلقيه عليه رسول الله، عن معاذ بن جبل (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يارسول الله قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد».

فهذه الطريقة التى استنها سيدنا رسول الله في تعليم العقيدة تعتمد أولا وآخرا على التلقين، لكن الرسول صدر كلامه بسؤال ليشوق السامع إلى ما يسمع.

١١- أما في أمور الدنيا فقد كان (صلى الله عليه وسلم) في تعليمه لصحابته يلقى السؤال أحيانا لا ليجيب عنه، وإنما ليختبر علم أصحابه وذكائهم عن ابن عمر (رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وأنها مثل المؤمن فحدثونى ماهى»؟ فوقع الناس في شجر البوادى، ووقع في نفسى أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ماهى يارسول الله قال: (هى النخلة)».

١٢- أما في مسائل الشريعة والفقه. فيما يتعلق بالحلال والحرام، بالواجب والمندوب والحرام والمكروه والمباح، بأفعل أيها الإنسان ولا تفعل، بأوامر الشرع ونواهيه، فإننى أضع بين ناظريك عزيزى القارئ حديثا قاله سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم الحج الأكبر، في أشهر خطبة خطبها في الناس معلما لا واعظا، هي خطبة الوداع، وأترك لك عزيزي

القارئ مسئولية الرد على المخالفين:

وأقول:

لقد حجّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى بيت اللـه الحرام بعد أن فرض الحج مرة واحدة، اشتهرت بين الناس بأنها حجة الوداع، خاطب سيدنا رسـول اللـه النـاس عند إحرامـه بقولـه: «أيهـا النـاس خـذوا عنـي مناسـككم فالموقف إذن كان موقفا تعليميا من بداية الاحرام حتى التحلل الأكبر، الرسول يؤدى النسك والصحابة يشاهدونه ويفعلون كما يفعل، وفي يـوم عرفـة وقـف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعلم الناس أمور دينهم وكـان ممـا قالـه: « أيها الناس: إن الله قد فرض عليكم الحج...» فقام رجل من الحاضرين لذلك المشهد فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فسكت الرسول، فكرر الرجل سؤاله ثلاث مرات والرسول يسكت، ثم قال: «لو قلت نعم لـو جبت ولمـا استطعتم، ذرونـي مـا تركتكم، فإنما أهلك مـن كـان قبلكـم كـثرة اسئلتهم واختلافهم علـى انبيائهم»، وأقول: إن فرضية الحج حكم شرعي، وقد جعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من كثرة الأسئلة حوله سببا من أسباب الهلاك، فمـا أمرنـا بـه من هذا الحكم الشرعي، نأخذه كمـا هـو، ونجتنـب مـا نهينـا عنـه فيـه، أمـا إذا فتحنا باب المناقشة حول الأحكام الشرعية، فإن هناك في كل حكم أسئلة قـد لا يكون للعقل البشرى فيها جواب أو تصور لجواب، ففي الحج مثلا لقائل أو يقول: لقد نهانـا الشـرع عـن تقديس الحجـارة، والكعبـة (زادهـا اللـه تشـريفا وتعظيما ومهابة) مبنية عن حجارة فلماذا نطوف حولهـا، ونتدافـع لتقبيل أحد أحجارها، بل ونسجد أمامها، ثم بعد ذلك نرمى حجرا بحجر ونعتبر ذلك نسكا من مناسك الحج، فبماذا نجيب علـى ذلك خاصـة إذا كـان السـائل إنمـا يسـأل جدالا وعنادا، وهل يقتنع منا بأية إجابـة فـي هـذه الحالـة؟، إن العقـل البشـرى

لاسلطان عليه ولا حدود لترهاته خاصة لدى المراهقين من الشباب.

ومثل الحج في ذلك سائر الأحكام الشرعية المتعلقة بأفعال المكلفين ولذلك نجد أن فقهاء الشريعة يقفون عند الكثير من الأحكام الشرعية ويقولون عنها إنها أحكام تعبدية توقيفية على الشارع الحنيف سبحانه الله قد تعبدنا بها كما هي ولا مجال للعقل فيها.

نعم هناك أحكام شرعية أخرى وردت معللة وللعقل فيها مجال يستطيع عن طريق القياس أن يقيس ما استجد من محدثات الزمان مما لم يرد فيه نص شرعي، في الحكم على مافيه نص بشرط توفر علة الحكم في كل من المقيس والمقاس عليه، ولكن هذا العمل يحتاج إلى فقيه يتمتع بملكة الاستنباط فضلا عن وجوب توفر شروط أخرى للاجتهاد فيه، يندر أن توجد في أحد في زماننا، ولا يخفى على أحد أن النادر من مدرسي التربية الإسلامية الآن هو الذي يحسن قراءة القليل من القرآن الكريم، فكيف يتسنى لنا أن نسمح لمثل هذه النوعية من المعلمين أن يجتهدوا في قضايا الفقه الإسلامي، ومن الذي أعطانا الحق في أن نسمح أو لا نسمح ونحن لا نملك هذا الحق أصلا، وإنما نحن عالة على ماكتبه أئمة الفقه الإسلامي، ولا عجب في ذلك فقد قال الإمام الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة.

١٣- نعم يجوز بل ويطلب من معلم التربية الإسلامية بعد أن يلقن لتلاميذه الحكم الشرعي، كما ورد على لسان أئمته، أن يتلقى وأن يجيب على اسئلة تلاميذه حول فروع هذا الحكم وجزئياته، بعد أن يكون قد أوقف التلاميذ على أرض صلبة وعرفهم علة الحكم ودليله، وماهيته، وشروطه، وأركانه، ومبطلاته، ومفسداته، وكل ما يتعلق بالحكم الشرعي من جميع جوانبه، وهو إن يفتح باب المناقشة فإنما يكون ذلك لتثبيت الفكرة.

١٤- ولنا في رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أسوة حسنة في ذلك، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: هلكت يارسول الله، قال: وما أهلكك؟ قال: وقعت على امرأتي في رمضان قال: هل تجد ما تعتق به رقبة، قال: لا. قال: هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا. قال: فهل تجد ما تطعم به ستين مسكينا؟ قال: لا. قال: ثم جلس (الرجل) فأتي النبي (صلى الله عليه وسلم) بعرق (إناء) فيه تمر فقال: تصدق بهذا، فقال الرجل: مابين لابتيها أهل بيت أحوج إليه منا، فضحك النبي (صلى الله عليه وسلم) ثم قال: أذهب فأطعمه أهلك» وأقول: الرجل في هذا الحديث الشريف كان يعلم حكم من جامع امرأته في نهار رمضان، وإلا ماجاء صارخا يقول: هلكت يارسول الله، وإنما جاء الرجل آملا أن يكون لدى رسول الله نوع أخف من الكفارة، أو أن يساعده الرسول في أدائها، وفي إجابة الرسول على الرجل ما يعلمنا نحن معلمي التربية الإسلامية، إن نؤكد الحكم الشرعي المعلوم مسبقا بطريقة المناقشة هل تجد ما تعتق رقبة، هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين - هل تجد ما تطعم به ستين مسكينا، وكأن الرسول يقول: إن كفارة الجماع في نهار رمضان هي: العتق والصوم والإطعام، فقد ثبت الرسول الفكرة بطريقة المناقشة ولكن بعد بيان الحكم الشرعي قبل ذلك.

١٥- ونخلص من هذه الجزئية أن المناقشة كطريق من طرق تعليم الدين ليست جديدة على الفكر الإسلامي حتى نلجأ إلى أئمة الكفر لنتعلم منهم كيف نعلم ديننا لأولادنا عن طريقها، وأن هذه الطريقة مع ما يعقبها من الاستنتاج بعدها مخالفة لنصوص من القرآن والسنة في تعليم أمور العقيدة والشريعة إذا اعتمدنا عليها منفردة في بناء الدرس أو الموقف التعليمي إبتداء،

إذ من الخطأ إن أطلق العنان للعقل ليتوصل إلى أمر غيبي أو حكم شرعي دون أن ألقّن صاحبه حيثيات الحكم الذي يتوصل إليه العقل، فإن العقل إذا لم يكن لديه علم مسبق بحيثيات الأمور الغيبية والأحكام الشرعية قد يشرد أو يضل.

١٦- وإني لأقف وأسأل دعاة هذا الإصلاح المزعوم: ماذا تقصدون بطريقتي المناقشة والاستنتاج على وجه الخصوص.

إن قالوا ببناء الدرس أو الموقف التعليمي على الطريقة الأولى بحيث إن المعلم بعد أن يكتب التاريخ وموضوع الدرس، يطرح الموضوع للمناقشة ثم يتوصل مع تلاميذه إلى الحكم الشرعي أو العقدي.

قلت: هذه الطريقة في أمور العقيدة والأحكام الشرعية التوقيفية التعبدية محظورة بنصوص القرآن والسنة المتقدمة.

أما بالنسبة للأحكام الشرعية المعللة والتي يمكن أن يقاس عليها فقد بنى الإمام الأعظم أبو حنيفة مذهبه عليها، فقد كانت تأتيه المسألة أو يفترضها فيعرضها على أصحابه ويختلفون في الحكم أو يتفقون، ثم يأمر الإمام أحد تلاميذه بقيد وتدوين المسألة والرأي فيها، ولكن أين أبو حنيفة وصاحباه في زماننا؟ وهل يمكن اعتبار معلم التربية الإسلامية في مراحل التعليم العام وهو غالبا لا يحسن قراءة آيتين فقط من كتاب الله قراءة صحيحة، هل يمكن اعتباره كأبي حنيفة، أم يمكن اعتبار التلاميذ المراهقين في مراحل التعليم العام، الذين لا يحسن الكثير منهم الوضوء، كأصحاب أبي حنيفة؟ أسئلة أطرحها وعندك أنت عزيزي القارئ الإجابة عليها.

وإن قالوا: إن المناقشة لا تأتي إلا بعد أن يعطي المعلم لتلاميذه حيثيات الحكم والتصور العام لموضوع الدرس.

قلت: هذا تفسير للماء بعد الجهد بالماء، فأين جديد العلم الذى تقدمونه والذى تهدمون له الطريقة التى أسميتموها بالتقليدية القديمة والتى تدورون حولها بدون إضافة إلى جوهرها.

فإن قالوا عن طريقة الإستنباط: بإنه وليد المناقشة المبدئية.

قلت: هذا أدهى وأمر، فقد أطلقنا العنان لعقول التلاميذ المراهقين.

واستنتجنا من ترهاتهم وتحاريفهم أحكاما شرعية ملزمة.

وإن قالوا: بل يأتى الاستنتاج والاستنباط بعد أن يلقى المعلم على تلاميذه حيثيات الحكم ومقدماته.

قلت: فأين الجديد في ذلك فهذه هي الطريقة التقليدية المعيبة لديكم والتى أخذتم على كاهلكم تطويرها، وأنا شخصيا أتبع ذلك: أطرح الفكرة ثم أناقش الطلاب حولها، ثم أتوصل معهم إلى نتيجة محددة هي تلخيص لما طرحته من أفكار، وهي نفس الطريقة التى تلقيت العلم في الأزهر الشريف وفقا لها.

١٧- نقد على نقد:

ينقل رونالدت. هايمان في مؤلفه (طرق التدريس) عن ديوى قوله: إنه ليس من المبالغة كثيرا أن نقول: إن الطالب يعامل في أغلب الأحيان كما لو كان أسطوانة فونوجرامية يسجل عليها مجموعة من الكلمات تعاد بالحرف الواحد عندما يضغط للتسميع أو الإمتحانات على الزر المناسب، أو أن عقل الطالب بتشبيه آخر يعامل كما لو كان صهريجا أو خزانا تصب فيه المعلومات بواسطة مجموعة من الأنابيب، بينما يمثل التسميع المضخة التى يخرج منها المعلومات مرة ثانية، عبر مجموعة أخرى من الأنابيب، وتقاس مهارة المدرس في هذه الحالة بقدرته على إدارة هذين الخطين من الأنابيب

اللذين يضخان في داخل الصهريج وخارجه[1].

ويقول سيد أحمد عثمان في مؤلفه (المسئولية الاجتماعية والشخصية المسلمة دراسة نفسية تربوية، لقد لاقى الحفظ ويلاقى عنت أى عنت واستنكارا أى استنكار من المربين المحدثين، كان منكرا عند بعض المربين في الخارج، وعند بعضهم بيننا بطبيعة الحال، أو بطبيعة رجع الصدى وإنعكاس صورة المرآة، باعتباره نقيضا للفهم، وناقضا للعمل، وعدوا للتعليم[2]...» وأقول:

١٨- أنا لست الآن في مرحلة تقييم طريقة الحفظ والتلقين كإحدى تدريس التربية الإسلامية، ولكنى أكتفى الآن فقط بالتعليق على موقف بعض الباحثين المسلمين المعارضين لحفظ القرآن الكريم، وقيام معلمى التربية الإسلامية بتحفيظ تلاميذهم بعض آيات الذكر الحكيم والسنة النبوية تبعا له، والاحظ مايلى:

(أ) أن هايمان وديوى وغيرهما نقدوا طريقة الحفظ في علومهم التجريبية والإنسانية والوضعية وقد تفضل بعض الباحثين المسلمين، وطبقوا نظريات أئمة الكفر على تدريس التربية الإسلامية.

(ب) ولم يكتف هذا البعض من الباحثين المسلمين بنقد طريقة الحفظ في مجال تدريس التربية الإسلامية، بل تفضلوا ووجهوا سهام نقدهم نحو كتاب الله وقرآنه المجيد، تفضلوا بإثارة الكثير من الظلال والشك والأسئلة حول تلاوة القرآن الكريم وحفظه، ولقد أحصيت قرابة عشرين سؤالا في مؤلف

---

(١) د/ ابراهيم محمد عطا - طرق تدريس التربية الإسلامية - مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٨٨م ص ٢٠٥.

(٢) نفس المرجع والصفحة.

واحد للأستاذ يوسف الحمادى بعنوان: أساليب تدريس التربية الإسلامية عشرين سؤالا، لا تثير إلا الشك والحيرة، في أمر أوجبه الله علينا وهو تلاوة وحفظ القرآن الكريم بقوله عز وجل: ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾.

(جـ) والآن أضع بين ناظريك عزيزى القارئ بعض هذه الأسئلة بدون تعليق مؤقتا:

١- هل تبدأ التلاوة من الصف الثانى الإبتدائى أم من الخامس أم تؤجل إلى المرحلة المتوسطة؟ ويدافع من يطالبون بتأجيل التلاوة إلى المرحلتين الأخيرتين بقولهم:

- إن طفل الصف الثانى يردد التلاوة كالببغاء التى لا تفهم ما ترددده.

- أنه لا يجند القراءة في المصحف، ولهذ يلقن ما يتلو منه تلقينا دون أن يحقق شيئا من التلاوة بمعناها الاصطلاحى!!!؟؟؟

- إن التلاوة تحتاج إلى قدر من الثروة اللغوية، وقدرة على تجريد الأفكار البارزة وعلى حصر الذهن فيها للإلمام بها إلماما إجماليا، ومثل ذلك إنما تبدأ بواكيرة مع الصف الخامس.

أنه يمكن تحقيق أهداف التلاوة من خلال التفسير والحفظ وهما مبنيان على الفهم، وذلك خير من التلاوة بالصورة التلقينية.

وأقول:

بأن لى وقفة قصيرة مع كل مبرر من مبررات تأجيل التلاوة ثم معها جميعا.

١- ببساطة شديدة المعترض لا يدرك طبيعة القرآن الكريم وأنه ليس كتاب قراءة، وأنه إنما نزل سماعيا، وأن قراءته قراءة سليمة صحيحة لا يمكن أن تكون، إلا إذا سمعه (من يريد قراءته) من المحفظ له، ورده خلفه

مرة واثنين وثلاثا وقد تزيد، واتحدى أن يستطيع حامل أعلى الدرجات العلمية قراءة القرآن أو فهم شئ منه، دون سماعه أولا من غيره وترديده من خلفه فالسماع في القرآن سابق على التلاوة، والتلاوة سابقة على الفهم.

٢- ان عطاء القرآن الكريم، عطاء متجدد، ويستطيع كل من يتلوه أن يحصل منه على عطاء يختلف عن عطاء الآخرين، ولا أبالغ إذا قلت أنني في كل مرة أتلوه أخرج منه بعطاء وفهم يختلف عن العطاء السابق للتلاوة السابقة، فالطفل يخرج من تلاوته بعطاء ويكفيه أن يعمر قلبه بنور القرآن وأن يتعود لسانه على نطق العربية الفصحى، وقد كان عرب الحضر والمدن يرضعون أطفالهم لدى عرب البادية رغبة في تعلمهم للفصحى من أول نطقهم فهل كان تعلم العربية يتوقف على سن معينة أو عقل وإدراك من الطفل؟

وكذلك الرجل العامي يخرج من تلاوته للقرآن بعطاء يناسبه، والشيخ محمد متولي الشعراوي يخرج بعطاء يختلف، ولو أن فضيلته أعاد تفسيره للقرآن الكريم لجاء التفسير الثاني يختلف عن الأول، فربط تلاوة القرآن بسن معينة ليس حجة لتأخير تلاوته، وفتش معي عزيزي القارئ عن الهدف الحقيقي من وراء الدعوة إلى تأجيل تلاوة الأطفال وحفظهم للقرآن إلى المرحلة المتوسطة أو إلى مشارفها.

- أيكون ذلك لغرض أن تكون تلاوة المسلم وحفظه للقرآن الكريم كالرقم على الماء؟، لقد قالت العرب قديما، التعليم في الصغر كالنقش على الحجر والتعليم في الكبر كالرقم على الماء.

- أم يكون ذلك لغرض أن يكون قلب الصبي قد انشغل بغير القرآن ولم يعد فيه مكان للقرآن؟ وقديما قال قائل العرب:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا.

٣- وإذا تجاوزنا هذا الجدل العقلي، فإننا نجد أن هذه الدعوى تخالف كثيرا من نصوص القرآن والسنة التي توجب تلاوة القرآن وحفظه من مختلف الأعمار وعلى كل الأعمار وهاك بعضا منها:

- قال تعالى: ﴿كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون﴾ وقال: ﴿ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون﴾ وقال: ﴿وأتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين﴾ وقال: ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾ وقال: ﴿وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا﴾ صدق الله العظيم

وقال عز من قائل: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر أن قرآن الفجر كان مشهودا﴾

وقال: ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن﴾

وقال: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾.

١٩- والأمر المحير والمثير للدهشة أن الله - عز وجل - يقول: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ أي سهلناه للحفظ وهيأناه للتذكر فهل من حافظ له، ودعاة الإصلاح يطالبون بتأجيل تلاوة الأطفال للقرآن إلى مراحل التعليم المتوسطة لأنه شاق عليهم، وكأنهم أعلم بقدرات الإنسان من خالقه - سبحانه وتعالى - مع ما في ذلك من مخالفه لقول سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من علم ابنه القرآن نظرا (أي تلاوة) غفر له، ومن علمه إياه ظاهرا (أي عن ظهر قلب) بعثه الله على صورة القمر ليلة البدر، ويقال لأبنه: أقرا ورتل فكلما قرأ آية رفع الله - عز وجل - الأب بها درجة، إلى آخر ما معه من القرآن (رواه الطبراني عن أنس، والكلام في ذلك يطول،

ولكنه متصل مع عرضنا ومناقشاتنا لما آثاره مانعوا حفظ وترتيل القرآن الكريم من دعاة الإصلاح المزعوم من أسئلة وظلال وشكوك أوردها الاستاذ يوم الحمادى في مؤلفه المشار اليه سابقا (أساليب تدريس التربية الإسلامية) في صورة قضايا، والكلام الآن على لسانه فيقول:

- وثمة قضية أخرى حول التلاوة محورها السؤالان الآتيان:

هل تبدأ التلاوة حين تبدأ مرتله؟

هل يقبل فيها من التلميذ الأداء الممكن حتى ينتهى شيئا فشيئا إلى أحسن التلاوة؟.

- وهناك قضية ثالثة مدارها هذان السؤالان:

هل تكون سور التلاوة متوالية تبعا لترتيبها في المصحف، حتى لو كان بعضها بعيدا في معانيه وأحكامه وسلوكياته عن حياة التلميذ؟

هل تبنى التلاوة على أساس اختيار ما يلائم الدارسين منها؟

- وإلى جانب ما تقدم قضية رابعة يثيرها بعض القائمين على أمر التربية الإسلامية، وأساسها السؤالان الآتيان:

هل تكون التلاوة صماء لا يسبقها فهم؟

هل يسبقها شئ من فهم المعنى ولو بصورة عامة؟

- وتبقى قضية أخرى قوامها:

هل تقرر تلاوة القرآن الكريم كله في مراحل التعليم العام وما يعادله أكثر من مرة؟

هل يقل عدد مراتها؟ أو تكون مرة واحدة مع إجادة التلاوة؟

٢٠- وأقول:

إن من يحاول في آيات الله، لن يعدم أن يجد ألف مبرر ومبرر لإلزام خصمه بحجته، وهذا ما فعله أولئك النفر الذين يعارضون عن تقليد لائمة الكفر طريقة التلقين والحفظ في تدريس التربية الإسلامية، فقد تفننوا في وضع عشرات المبررات لإلزام الخصم بحجتهم، ولكن تبقى المحصلة النهائية لكل ما أثاروه من شكوك وجدل حول تلاوة وحفظ القرآن الكريم ولكل ما قدموه من مبررات لوجهة نظرهم تبقى المحصلة النهائية وهى أنهم يصدون الناس عن كتاب الله، والسؤال الذى يشغلنى هو:

هل يليق بمسلم أن يعرقل الناس عن حفظ القرآن؟

قال تعالى: ﴿فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون﴾.

وقال عز من قائل: ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا، وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبدا﴾.

وقال: ﴿والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم﴾.

وقال: ﴿والذين يسعون فى آياتنا معاجزين أولئك فى العذاب محضرون﴾ صدق الله العظيم

وأعود بك عزيزى القارئ إلى ما ينقله الأستاذ يوسف الحمادى فى مؤلفه المشار إليه، من أسئلة وجدال حول تفسير القرآن الكريم وحفظه فيقول:

– من القضايا أو بعبارة أخرى من النواحى التربوية الخلافية حول التفسير والحفظ ما يدور حول السؤالين الآتيين:

هل يحمل الصغير على ترتيل القرآن الكريم وحفظه أو بعض منه، وهو لما يتضح لفهم مراميه وغاياته، وإدراك مقاصده وأهدافه فضلا عما يتميز به القرآن الكريم من سمو في العبارة، وعلو في الصياغة، وعمق في المعانى، وتعمق في التشريع مما يعلو على مدارك التلاميذ الصغار؟

أما السؤال الثانى فهو:

هل تأخذ التربية الإسلامية أبناءها بشئ من القرآن الكريم يدنو من عقولهم وقلوبهم، ليفهموا ما يتسنى لهم منه، ويحفظوه فيكونوا على صلة به منذ نعومة أظفارهم؟

ومشكور يوضح لنا الأستاذ يوسف الحمادى ما يرمى إليه السائل من سؤاله الأول فيقول:

والسائل في السؤال الأول يحمل استفهامه الإنكار ويعترض على ما يؤخذ به الصغير من حفظ القرآن الكريم مع قصور مرحلة النضج التى يمر بها عما يحمل عليه.

ويسترسل الأستاذ يوسف الحمادى، وهو ليس بعالة على التربويين أو مدسوس عليهم فلقد كان يعمل مستشارا للتربية الإسلامية في مصر وأستاذا للطرق الخاصة في كلية التربية بالمدينة المنورة، يسترسل فيما ينقله عن بعض دعاة الإصلاح (المنتقدين لطريقة الحفظ في القرآن الكريم) من قضايا فيقول: ومن النواحى الخلافية في حفظه أيضا:

ناحية الاختيار من القرآن الكريم، وقد تناولها التربويون تناولا انتهى إلى اتجاهين:

الأول: يرى أن قصار السور ذات جرس وإيقاع ونغم، فيما فيها من قصر الفواصل، وما تتسم به من سجع يجعل الحفظ مقبولا.

والثاني: يرى أن التركيز في الأختيار، يكون على أختيار المعانى التى يمكن للطفل فهم مضمونها، وآيات الفضائل والنعم أقرب إلى مستوى هذا الطفل،.

- ومن النواحى الخلافية كذلك ما يدور حول السؤالين الآتيين:

إذا كان من الممكن أن يقدم للصغير شئ من القرآن الكريم فهل يحفظه دون أن يتفهم معناه بشكل ما أو آخر؟

أو يجب أن يتفهمه ولو فهما مجملا ميسرا قبل حفظه؟

- ثم ناحية أخرى تدور حول الأداء، والأساس فيها السؤالان الآتيان:

هل يكتفى من الصغار بالأداء الممكن؟

هل يحملون على الترتيل والتجويد منذ نعومة أظفارهم؟

وأقول:

٢١- إذا طرحنا النوايا والمقاصد من وراء آثارة الجدل والنقاش حول أوجب واجبات المسلم وهى حفظ القرآن الكريم وترتيله، وأفترضنا حسن النية لدى هذه الطائفة من دعاة الإصلاح المزعوم التى آثارت هذا الجدل ونساءلنا:

ألا تلتقى النتيجة والمحصلة النهائية من وراء إثارة الجدل والنقاش حول نقد طريقة الحفظ في تعلم وتعليم التربية الدينية والقرآن الكريم على وجه الخصوص مع قول البابا شنودة لشعب الكنيسة في مصر: يجب مضاعفة الجهود التبشيرية الحالية، إذ أن الخطة التبشيرية التى وضعت على أساس

اتفق عليه للمرحلة القادمة وهو زحزحة أكبر عدد ممكن من المسلمين عن دينهم والتمسك به، على ألا يكون من الضرورى اعتناقهم المسيحية، فإن الهدف هو زعزعة الدين في نفوسهم؟

وتشكيك الجموع الغفيرة منهم في كتابهم، وصدق محمد، ومن ثم يجب عمل كل الطرق في كتاب قذائف الحق للشيخ محمد الغزالى، وراجع في التعليق عليه أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها للشيخ عبد الرحمن الميدانى - دار القلم دمشق.

٢٢- إن هذا الجدل الذى يثيره بعض العباقرة حول طريقة الحفظ والتلقين في تعلم وتعليم التربية الإسلامية، والذى ينعكس آثاره على أهم مصدرين للإسلام وهما الكتاب والسنة، والذى يوجه الآن على استحياء لنقد تلاوة وحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالتبعية يذكرنى بالحشرة حينما تدخل إلى باطن الثمرة فتجوفها وتفرغها من محتواها، حتى تمس قشرة فارغة محكوما عليها بالطرح والفناء دون أن يدرك أحد ما فعلته تلك الحشرة بالثمرة حين غمزت منها طرفا متواريا ووحفرت فيه يسيرة من مكان غير ظاهر لضوء الشمس، ونفذت إلى نواة الثمرة من خلال نفق صنعته لنفسها، ونمت وترعرت حتى وصلت إلى النواة فوجدت فيه مطعما طيبا ومذاقا حلوا، فأكلتها والتهمت من لب الثمرة ما استطاعت وأفسدت ما عجزت عن التهامه، حتى إذا بقيت الثمرة قشرة ذابلة، تداعت على نفسها، وسقطت وصارت إلى الفناء، وكذلك يفعل بعض أبناء الإسلام به الآن، حين يعمودن إلى ثمرته التى جاءتهم عن طريق الوحى من كتاب وسنة، ويثيرون ظلالا من الشك والجدل حول تلاوته وحفظه، حتى يفرغ الإسلام من محتواه ويمس قشره فارغة محكوما عليها بالفناء والأدهى والأمر أنهم ينفذون إلى هذا الغرض من خلال

ما يسمونه طرق تدريس التربية الإسلامية.

٢٣- أننا إذا نظرنا إلى عاقبة نقد تلاوة وحفظ القرآن الكريم لوجدنا أنها تؤدى إلى تحويل التربية الإسلامية من علم باق ونافع إلى مجرد ثقافة إسلامية، وربما إلى نوع من الوعظ والإرشاد، سرعان ما ينساه التلميذ حين تجرفه تيارات الحياة، إذ ماذا يرجى من طفل مرت عليه مرحلة الطفولة - ومرحلة التعليم الإبتدائى وهو لم يتلو ولم يحفظ أية واحدة من كتاب ربه؟، هل يستطيع أن يتلوها أو يحفظها حين يصل إلى مرحلة الفتوة والشباب؟ وماذا لو تسرب من التعليم بعد المرحلة الإبتدائية وهو ما يحدث لنسبة ليست بالقليلة من التلاميذ، فهل تهدف التربية الإسلامية إلى تخريجه وليس في جوفه شئ من القرآن الكريم، يقول سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى» ويقول: «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار».

٢٤- من جهة أخرى فأننا إذا نظرنا إلى القضايا التربوية المثارة في نقد طريقة التلقين والحفظ، وما ترتبت عليه من آثار امتدت ببعض الباحثين إلى نقد ما عليه المسلمون حاليا من حمل أطفالهم على تلاوة وحفظ القرآن والسنة في سنوات عمرهم المبكرة والدعوة إلى تأجيل ذلك إلى نهاية مرحلة التعليم الإبتدائى أو ما يليها من مراحل التعليم المتوسط، وما آثاره أنصار هذا الاتجاه من أسئلة ومناقشات وجدال لوجدنا أنه:

١- جاءت معارضة هذا البعض لتلاوة وحفظ القرآن والسنة في السنوات الأولى من عمر الناشئة تحت ستار معارضة البعض الآخر منهم،

وأخشى أن يكون صراع الفكرتين المتناقضتين مجرد تمثيلية تهدف إلى أحاطة الأفكار غير المقبولة بستار من الأفكار الصحيحة والمقبولة، لتكون الثانية ظلا يسمح بمرور الباطل من بين يديه، دون آثارة الانتباه، فعرض جملة من الأفكار الصحيحة والمقبولة، يجعل أذهان الناس تطمئن السلامة قصد عارضها، فإذا جعلها ظلالا لأفكار أخرى، عبرت الثانية إلى أذهان السطحيين من الناس ضمن ما يعبر من أفكار إلى أذهانهم.

٢- أننا نشاهد فيما تقدم نوعا من التلبيس، عن طريق دس الأفكار الباطلة والمذاهب الفاسدة ضمن حشد من الأفكار الصحيحة والمقبولة والتي لها حظ من النظر الفكري السليم، ويكفيني الآن عزيزي القارئ أن أوضح لك نموذجين من هذا التلبيس فيما أوردته لك من أسئلة ومناقشات أثارها بعض المغرضين في تلاوة وحفظ القرآن الكريم، فارجع معي إلى صياغة هذه الأسئلة لترى:

أ) قالوا: إن الطفل لا يجيد القراءة في الصحف، وأن التلاوة تحتاج إلى قدر من الثروة اللغوية، وأن إكراه التلميذ على تعلم شئ قد ينفره منه، وأن الفهم يساعد على إدراك الأفكار ويعين على حسن التلاوة، وأن القرآن يتميز بسمو في العبارة، وعلو في الصياغة، وعمق في المعاني، وتعمق في التشريع مما يعلو إلى مدارك التلاميذ، وأن الحفظ بعد الفهم يكون أفضل وأحسن، فهذه الأفكار وغيرها قد يكون فيها شئ من المنطق والقبول، ولكن ماذا وراء هذه الأفكار؟ تقف الدعوة إلى تأجيل التلاوة والحفظ إلى ما بعد المرحلة الإبتدائية، فإذا تسرب من تلاميذ هذه المرحلة ثلث عددها ولم يلتحق بالتعليم الإعدادي ضمنا أن هذا الثلث لم يسمع شيئا من القرآن أو السنة، وفي المرحلة الإعدادية لا مانع من ترتيل التلاميذ وحفظهم لقصار السور وآيات الفضائل والنعم، فإذا

تسرب من هذه المرحلة نصف عددها ولم يلتحق بالتعليم الثانوى، ضمنا أن ما عند هذا العدد المتسرب من القرآن والسنة لا يسمن ولا يغنى من جوع، أما ما تبقى من التلاميذ والتحق بالتعليم الثانوى فقد صاروا في مرحلة الشباب والمراهقة، وصار تعليمهم القرآن كالرقم على الماء، فإذا كانت الكتابة على الماء يبقى لها أثر، فسوف يعلق هذا الأثر في عقول هؤلاء التلاميذ وبذلك تندس هذه الفكرة الخبيثة في وسط هذا الثناء والمديح على أي القرآن الحكيم، وقد تمر على عقول السطحيين في ظل هذا الثناء دون إدراك من أحد.

٢) إذا كان الدليل التجريبى والحسّى قد دفع الباحثين المعاصرين إلى نقد طريقة الحفظ والتلقين في تدريس العلوم التجريبية أو الوضعية وهجرها مع استحداث طرق أخرى غيرها، فإن التجربة والواقع والنص القرآنى على خلاف ذلك في تدريس التربية الإسلامية فلقد جاء النص القرآنى وهو قوله تعالى، ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ مؤكدا بلفظه ومعناه في أربع آيات من القرآن الكريم هى الآيات ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠ من سورة القمر والسنة النبوية كالقرآن فهى وحى لكنه غير ممتلو، فالتيسير ينسحب عليها كذلك، والتجربة والواقع العملى كذلك يؤكدان على أن حفظ القرآن والسنة في سنوات العمر المبكرة ليس بالأمر الشاق أو المنفر للطفل، فأنا شخصيا حفظت القرآن الكريم كاملا وأنا ابن احدى عشرة سنة، وجودته بالقراءات السبع وأنا ابن اثنتى عشرة سنة ولا أتذكر في ذلك صعوبة أو مشقة، وكل من كان في مثل سنى ممن التحق بالأزهر الشريف قبلى أو بعدى وحتى اليوم يحفظون القرآن الكريم كاملا كشرط لتعلمهم في الأزهر، وأذهبوا إلى المدارس الإبتدائية الأزهرية لتروا بأعينكم أطفالا لم يتجاوزوا العاشرة من عمرهم وقد حفظوه كاملا، ولا أساس لما يتوهمه البعض من صعوبة أو مشقة

أو نفور لديهم من القرآن، وهنا نجد أن التلقين والحفظ قد يكون غير مقبول في الرياضيات والعلوم الطبيعية، فإذا جعلنا ذلك ظلا لعدم القبول في تدريس التربية الدينية فهذا تلبيس خاصة إذا تسترنا بشعارات التقدم العلمي، ومنهجية البحث السليم، ومنجزات العلم، وملأنا الصفحات الجدلية بثرثرات قائمة على دغدغة العواطف، وإثارة الانفعالات، والتظاهر الكاذب بالرغبة الشديدة في إيتغاء الحق وخير الإنسانية، والإيهام بأن الفكرة قد غدت من المسلمات العلمية والحقائق التي لا تقبل النقص ولا النقد، وتوجيه النقد الشديد اللاذع ضد كل من يناقضها أو يخالفها، مع استخدام وسائل الهزء والسخرية والتندر بالدين يأخذون بالرأي المخالف، وإتهامهم بالرجعية، والتخلف والجمود، وعدم الفهم، والتعصب الأعمى للقديم.

وحيلة التلبيس هذه كانت من حيل اليهود في المكر، فلذلك خاطبهم الله - عز وجل - بقوله: ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾ كما خاطبهم بقوله: ﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾ وعلى ذلك فإن تعميم هذا الأمر الخاص مغالطة جدلية نرفضها ولا نسلم بها.

٢٥- ثم إني اتوجه بهذه الأسئلة إلى ناقدي طريقة الحفظ والتلقين في تدريس التربية الدينية لأقيم عليهم الحجة أمام الله - سبحانه وتعالى-:

لقد نهى سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن تدوين السنة النبوية في حياته حتى لا تختلط بالقرآن حتى لا ينشغل الناس بها ويدعون كتاب الله تعالى والسؤال هو لو لم يهيئ الله - عز وجل - لسنة نبيه حفظة لها، يحفظونها في صدورهم ويروونها من بعده ويخلصونها من كل دخيل وغريب، وموضوع ومكذوب عليها، ويميزون بين المتواتر والمشهور والآحاء، والمرفوع والموقوف، هل كان يمكن أن تصل إلينا سنة، وهل كان

يمكن لنا أن نطمئن إلى صحة حديث منها، وماذا كان يفوتنا بضياع السنة، وتحريفها من قواعد الدين.

لقد كان سلفنا يعدون عظمة الواحد منهم بما يحفظ من كتاب الله وسنة نبيه، ويطلقون على من يحفظ منهم مائة ألف حديث بسندها لقب الحافظ وهو وصف شرف له وتفرد على أقرانه، أن سعة أحدث كمبيوتر الآن لا تسع هذا العدد من الأحاديث لتخزينها فيه، وقد وسعته صدور هؤلاء الرجال، فهل كان حفظهم لسنة رسول الله منكرا فطموه؟، ونقيضا للفهم، وناقضا للعمل، وعدوا للتعليم؟

٢٦- فإن قيل: بأن المشكلة في الحفظ ليست في أنه معيب في حد ذاته، بل في أن أمورا معينة لا تراعى فيه شأن العمليات التعليمية اللفظية، وإنما يرجع قصور الحفظ إلى أنه لا يراعى فيه.

١- وضوح ما يحفظ ومعناه. ٢- وتنظيمه وبنيته.

٣- ثم ربطه بالواقع سلوكا كان أو موقفا، قلت:

بأن الثابت أن الإمام مالك والحافظ ابن حجر والحافظ ابن كثير والحافظ الدمشقي وغيرهم هؤلاء كثير وكثير قد حفظ الواحد منهم عشرات الآلاف من الأحاديث بل حفظ على الأقل مائة الف حديث بسندها، ولم تكن تلك الذرائع المانعة من الحفظ حديثا مانعة لهم من الحفظ، وخلفوا لنا ثروة فقهية وعلمية، نعد نحن الآن من يفهم القليل منها عالما من علمائنا.

٢٧- لقد جعل الله سبحانه وتعالى - الحفاظ على الكتب السماوية التي نزلت قبل القرآن الكريم جزءا من تكليف هذه الأمم، فكانت النتيجة أن كل أمة نسيت بعض كتابها وذكرت بعضه، وهذا الجزء الذي لم ينسوه كتموا بعضه وذكروا بعضه الآخر، والجزء الذي لم يكتموه حرفوا بعضه وأعرضوا

عن بعضه والجزء الذى لم يحرفوه، لووا ألسنتهم به، فضاعت أصول هذه الكتب ومحيت ودرست، أما في القرآن الكريم، فإن الله جلت حكمته لم يوكل الحفاظ عليه إلى الأمة، ولم يجعل ذلك جزءا من التكاليف الشرعية التى كلفوا بها، وإنما تكفل المولى سبحانه وتعالى بالحفاظ عليه، حيث قال عز وجل: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ بيد أنه سبحانه وتعالى يسر حفظه لكل أفراد الأمة، فقال مؤكدا قوله أربع مرات وصدق الله العظيم في قوله: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ وقد يكون تيسير المولى عز وجل حفظ القرآن للناس، جزءا من ارادته تعالى بالحفاظ عليه، والسؤال هو: ألا يكون صرف الناس عن حفظه، تحد لارادته سبحانه، ثم إن الحافظين للقرآن الكريم من البشر هم جنود الله في الذود عن قرآنه ضد محاولات تحريفه، التى لم تتوقف على مر الزمان، فإذا فقدناهم فمن يكتشف هذا التحريف وينبه عليه؟ لقد سمعنا في عصرنا الحديث وبعد التقدم المذهل في فن الطباعة، عن محاولات لتحريف القرآن، بإضافة كلمة أو حذف كلمة أو تبديل آية أو كلمة محل الأخرى، وفي كل محاولة يهدى الله عز وجل بعض جنوده من حفظة القرآن لاكتشافها والتنبيه عليها، فإذا فقدنا الحفظ وعينا عليه واستبدلناه بأى طريقة أخرى، فمن يكتشف التحريف، إن قلنا نصوره على الميكروفيلم، ونحتفظ به في خزانات خاصة، قلت: ما أيسر سرقة هذا الميكروفيلم واستبداله بآخر محرف، ثم ماذا لو ظهر لدينا أكثر من قرآن ولا أحد يعرف الصحيح من المحرف؟؟

٢٨- أرايت عزيزى القارئ مدى الكارثة المترتبة على نقد طريقة الحفظ والتلقين في تدريس التربية الدينية، فضلا عن مخالفتها لنصوص القرآن

والسنة المتقدمة، إن ما يصلح من طرق تدريس العلوم التجريبية والتطبيقية قد لايناسب بالضرورة تدريس التربية الدينية، بل قد يكون تدريسها باتباع هذه الطرق أحد المحظورات التي نهى الشارع الإسلامي الحنيف عنها كما سبق أن رأينا في طريقتي المناقشة والاستنباط، وإذا كانت طريقة الحفظ والتلقين قد ثبت عدم فاعليتها في تدريس الرياضيات أو الطبيعيات مثلا، فليس معنى ذلك بالضرورة أنها غير صالحة لتدريس التربية الدينية فلكل علم طبيعته، ولكل حال مقتضاه، ولكل مقام مقال.

٢٩- وخلاصة ما أريد أن أقوله: أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تلقى القرآن الكريم من الوحي تلقينا، وبلغه إلى الناس بنفس الطريقة، بل قرأه عليهم بنفس الحروف السبعة التي اقراه عليها سيدنا جبريل عليه السلام، وما كان له أن يزيد شيئا من عنده أو ينقص (يكتم) شيئا نزل عليه «ولو تقول علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحد عنه حاجزين» بل إن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم استن في طريقة تبليغه الدعوة إلى الناس بطريقة الحفظ، إذ فقد كان يكرر عليهم قوله ثلاث مرات حتى يحفظ الناس عنه ما يقول، ويؤدوه عنه كما سمعوه، وقال في حديثه الشريف: «نضر الله امرءا سمع مني مقالتي فحفظها ووعاها، فأداها كما سمعها، فرب مبلغ، أوعى من سامع» رواه الترمذي وأبوداود، كما عنون الإمام البخاري لأحد أبواب كتاب العلم في صحيحه بعنوان «باب حفظ العلم» بل إنني لا أتجاوز الواقع إذا قلت بوجوب اتباع طريقة التلقين والحفظ في تدريس التربية الدينية شرعا، والدليل على هذا الوجوب هو: أن حفظ القرآن والسنة أو شيء منهما واجب على المسلم صغيرا كان أو كبيرا، وهذا الواجب بالنسبة التلاميذ لايتم إلا باتباع هذه

الطريقة، وقد قال أئمة الفقه الإسلامي: أن ما لايتم الواجب إلا به فهو واجب، وعلى ذلك نقول:

إذا كانت طريقة التلقين والحفظ في تدريس الدين واجبة بالدليل النقلي والعقلي ولما يترتب على منعها من مفسدات، وإذا كانت طريقة المناقشة وكذا الاستنتاج في تدريس الدين منهيا عنها كذلك بالدليل النقلي والعقلي، فكيف يتسنى لنا أن ننقد ونبطل ونهمل ما هو واجب، وفي نفس الوقت نصحح ونأخذ بما هو منهي عنه؟ إن هذا الشيء عجاب.

٣٠- بعض طرق التدريس البديلة يمعدنى أن أقدم وفي حدود قراءاتي بعض طرق تدريس التربية الإسلامية مستقاة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومنها:

١- الانتقال بالمتعلم من صورة واقعية محسوسة إلى صورة ذهنية علمية تتعلق بالإيمان أو الأخلاق أو السلوك.

٢- استعمال الكتابة في التعبير عما يستهجن من الألفاظ، باختيار الألفاظ المألوفة المقبولة المعروفة، التي تفي بالمراد من غير تصريح، مع إمكان فهم المطلوب فهما كاملا كما لو صرح به في لفظه الأصلي.

٣- التدرج في إعطاء المعلومات وعدم الانتقال بالتلميذ إلى مسألة، حتى يصل به المعلم إلى ما يناسب حاله.

٤- تقريب الحقائق المغيبة في صورة مجسدة ملموسة يحسها السامع وكأنه ينظر إليها بعينه.

٥- تأييد القول بالدليل والتعليل على صورة القياس والتنظير.

٦- تصوير المعاني الدينية في إطار المفاهيم الشائعة. وأكتفي بهذا القدر وحتى لايدعي أحد أن هذه الطرق مجرد عبارات منمقة غير قابلة للتطبيق

العلمى فسوف أقدم لك عزيزى القارئ نماذج من هدى القرآن والسنة في استخدام هذه الطرق لتعليم الدين.

نموذج لدرس في العقيدة باستخدام الطريقة الأولى
موضوعه: فرحة الله بتوبة عبده العاصي

تمهيـــد:

في معنى التوبة، وأن الله لاتضره معصية العبد، ولاتنفعه طاعته وأن باب التوبة مفتوح للجميع، وأن الله يفرح بتوبة عبده العاصي.

فهذه الصورة الذهنية العلمية المتعلقة بفرح الله عز وجل بتوبه عبده العاصي يستطيع المدرس أن ينقلها إلى التلميذ في صورة واقعية محسوسة بمثل ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى امرأة من السبى (الأسرى) وقد أندفعت وراء طفلها ناسية حالتها فأخذته واحتضنته ووضعته على ثديها. ونسيت كل ما هى فيه، وكأنها ليس بها شيء فقال: أرايتم رحمة هذه الأم بولدها، أو فرحها بولدها؟ قالوا: نعم، فقال: أرحم بعبده أو أفرح بتوبة عبده من فرح هذه الأم بولدها، فالمدرس يستطيع أن ينتقل من صورة واقعية محسوسة إلى حقيقة دينية والعكس صحيح بهدف تثبيت تلك الحقيقة وتجسيدها أمام الناظر ولو أننا علمناه كيف يفعل ذلك لكان أجدى وأنفع وأصح.

مثال آخر: إذا أراد المدرس أن ينتقل بالتلميذ ويقرب له صورة ذهنية علمية تتعلق بأثر الصلاة في نفس المسلم فإن له أن ينتقل بالصورة الواقعية المحسوسة المتمثلة في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: أرايتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه خمس مرات كل يوم وليلة هل يبقى على جسده شيء من الدرن فالعناصر المحسوسة في هذه الصورة هى: نهر به ماء يجرى أو حماما به حنفية ودش وصابونة، ورجل متسخ الجسم، على جسمه آثار أو بقع

انتساخ ودرن، يلقى بنفسه في النهر، أو يقف خمس مرات تحت دش المياه، رجل يقف أمامنا بعد اغتساله للمرة الخامسة كل يوم نظيفا نضرا حسن الوجه والملابس لا أثر على بدنه أو ثيابه للانتساخ أو الدرن، هذه الصورة المحسوسة ينقلها لنا معلم البشرية الأول إلى صورة ذهنية علمية تتعلق بإحدى فرائض الإسلام في قوله: « فكذلك الصلاة يمحو الله بها الخطايا كما يمحو الماء الدرن».

والأمثلة في ذلك كثيرة وكثيرة من القرآن والسنة وكنت أتمنى أن أرى باحثا في طريق تدريس التربية الدينية يتصدى لكل الصور الذهنية العلمية في كتاب واحد من الكتب المقررة على صف من صفوف التعليم العام، ويبلور في صورة حسية ويقدمها لنا في صورة مقربة للمعنى الديني المقصود.

نماذج من أحاديث سيدنا رسول الله
استخدام فيها طريقة التعبير بالكنايات
عما يستهجن من الألفاظ

١- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سبعة يظلهم الله في ظ يوم لاظل إلا ظله وذكر منهم: رجلا دعته امرأة ذات منصب وجمال إ نفسها فقال إني أخاف الله» فقد كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ع طلب المرأة من الرجل أن يفعل معها الفاحشة بقوله: «دعته امرأة إ نفسها».

٢- قوله صلى الله عليه وسلم «للمرأة التي طلقها زوجها الث (المحلل) من غير أن يدخل بها دخولا كاملا، والتي جاءت تسأله: هل تـ

لزوجها الأول؟ فقال لها: لا. حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك» أي يتم الجماع كاملا فقد كنى عنه الرسول بالعسيلة، وعن تمام الاتصال بالذوق.

٣- قوله صلى الله عليه وسلم للمرأة التي جاءت تسأله عن حكم وجوب الغسل على من احتلمت في منامها ورأت الماء، فقال لها الرسول: إنما الماء من الماء.

٤- قوله صلى الله عليه وسلم: من يضمن لي ما بين لحييه ورجليه أضمن له الجنة فقد كنى عن الفرج بقوله: (ما بين رجليه).

وكنت أتمنى على غرار هذا الهدى النبوى أن يأخذ أحد الباحثين في طرق تدريس التربية الدينية هذه الطريقة، ويهذب ما في أحد كتب التربية الدينية بمقتضاها.

نماذج من الهدى النبوى الشريف في استخدام طريقة التدرج في إعطاء المعلومات لطالب العلم

١- روينا فيما تقدم قصة الرجل الذي وقع على امرأته في نهار رمضان وجاء يقول لرسول الله: هلكت يا رسول الله، وسؤال الرسول إياه عن سبب هلاكه، ثم تدرجه معه في سؤاله عن ملكيته لأنواع الكفارة، ثم مجئ الرسول له بإناء فيه تمر وأمره إياه باطعامه للمساكين، ثم تصريح الرسول للرجل باطعامه لأهله بعد أن أخبره أنه لايوجد أهل بيت في المدينة أحوج إلى هذا التمر من أهل بيت الرجل.

٢- عندما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا معاذ بن جبل قاضيا على اليمن سأله: بم تقضي إذا عرض لك القضاء؟ قال: بكتاب الله،

قال: فإن لم تجد (أى نصا في كتاب الله تقضى بموجبه) قال: فبسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد؟ قال اجتهد برأيي ولا آلو (أى لا أقصر) فقد أراد سيدنا رسول الله أن يرشد قاضيه معاذ إلى المصادر التى يستقى منها أحكامه عن طريق الحوار، وقد تدرج في إرشاده لها من أعلاها إلى أدناها.

وكنت أتمنى أن يتناول أحد الباحثين عرض دروس أحد كتب التربية الدينية لتلاميذ الصف متدرجا معهم في كل درس في توصيل معلوماته إليهم بحسب ترتيبها على بعضها أو وفقا لمعيار سهولتها وصعوبتها، أو لأى معيار يتخذه في تدرجه.

نماذج من الهدى النبوى الشريف ومن هدى القرآن الكريم في استخدام طريقة تقريب الحقائق المغيبة في صورة حسية معلومة ملموسة يحسها السامع وكأنه ينظر إليها ويراها

في هذه الطريقة من طرق تدريس التربية الدينية التى استخدمها الشارع الإسلامي الحنيف حدث عزيزى القارئ وأطل في حديثك فلدينا عشرات الأمثلة عليها منها:

١- تقريب حال وعاقبة من ظلم نفسه وطغى وضل عن سبيل الله بأى نوع من أنواع الضلال أو بها مجتمعة برسم لوحة حسية حركية عندما يقرؤها القارئ أو يستمع إليها السامع يتعايش معها ويحسها ويلمسها وكأنه ينظر إليها، إنها لوحة أصحاب الجنة التى عرضها القرآن الكريم في سورة القلم ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ والتى تتكون من عدد من الصور والمشاهد الجزئية منها:

أ- عدد من الأخوة يمتلكون بستانا إنه جنة.

ب – يهمس أحدهم في آذان الآخرين لماذا نعطى الفقراء من ثمار بستاننا؟ ألسنا أصحاب عيال، إن أولادنا وبيوتنا أولى بما نعطيه للفقراء، بل هم أحق بذلك، (واللى بعوزة بيتك يحرم ع الجامع) فيستهوى هذا الكلام قلوب الآخرين، إلا واحدا منهم، يصرخ لاتمنعوا حق الله في هذا المال، ولكن صوته يضيع هباء لأنه صوت واحد وسط مجموعة.

جـ– يعزم هؤلاء الأخوة على جنى الثمار غدا، وعلى خروجهم من بيتهم مستخفين على أطراف أقدامهم حتى لايراهم أحد من الفقراء فيتبعهم.

د – في صبيحة ذلك اليوم الموعود، ينادى بعضهم بعضا همسا حتى لايسمع أحد، ويخرجون وهم يتخافتون، مقسمين على عدم إعطاء أى فقير تمرة واحدة،

هـ– قبل أن يطلع نهار هذا اليوم الموعود، كان الله عز وجل قد أرسل عليها جنده فأمست تلك الجنة خاوية على عروشها، إنها كالصريم.

و – يصل الأخوة إلى جنتهم ويشاهدون منظرها، ويظنون أنهم قد تاهوا وضلوا الطريق، ويترددون فيه عدة مرات ذهابا وإيابا حتى يتأكدوا أن هذا هو الطريق وهذه هى جنتهم أو التى كانت بالأمس جنة، وهنا يتصايحون.. إنا لضالون لا. بل نحن محرومون.

ز – وهنا جلس الجميع بعد أن افاقهم هول ما شاهدوه، وهم لايملكون إلا لوم بعضهم لبعض، وهنا علا صوت أوسطهم، واستمعوا إليه لأول مرة، قائلا ألم أقل لكم لولا تسبحون.

ح – رفعت الجلسة بعد ندمهم واعترافهم بظلمهم وطيغانهم ولكن بعد أن خربت مالطة أقصد الجنة.

يصور القرآن الكريم هذه الحقائق الغيبة في تلك اللوحة الحسية في قوله

تعالى: ﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذا اقسموا ليصرمنها مصبحين، ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون، فأصبحت كالصريم. فتنادوا مصبحين أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين، فانطلقوا وهم يتخافتون، أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين، فلما رأوها قالوا إنا لضالون، بل نحن محرومون...﴾ الآيات ١٧-٣٣ من سورة القلم.

٢- ولوحة قرآنية أخرى يرسمها القرآن الكريم لبيان القرآن الكريم لبيان عاقبة من طغى بماله وأشرك بربه. وتتكون الصور الجزئية لهذه اللوحة من:

أ) صديقين أحدهما مستور الحال لكنه مؤمن بالله، والثانى غنى ميسور الحال إنه يمتلك بستانين لا. بل جنتين لكنه طاغ وكافر بنعمة ربه.

ب) جنتين مملوكتين للرجل الطاغية يحف بهما سور من النخيل المثمر ويجرى بينهما نهر خاص بهما وهما مغروستان بالأعناب التى يتخلل أشجارها زرع أخضر نضير.

ج) يصطحب ميسور الحال صديقه مستور الحال ويخاطبه كافرا بنعمة ربه عليه قائلا: أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا، وما أظن بل يستحيل أن تخرب هذه الجنة لا. بل وما أظن أن القيامة تقوم، وحتى لو قامت وعدت إلى ربى فسوف أجد أنه قد أعد لى خيرا من هذه الجنة.

د) يرد مستور الحال تب يا رجل لاتكفر بالله، قل: لاقوة إلا بالله، إن المال لا أمان له.

هـ) وجاء عقاب ربه، خربت الجنة وأصبحت خاوية على عروشها، ولم تنتج حتى ما تغطى به تكاليف أو نفقات إنشائها.

و) ندم وحسرة من طاغية يقف وحيدا لا أحد ينصره من دون الله وما كان منتصرا.

والقرآن الكريم يقرب إلينا هذه الحقيقة المغيبة في تلك الوحة الحسية التي ينظر إليها قارؤها أو سامعها حين يقرأ أو يسمع قوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا، كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا، وكان له ثمر، فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا، ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال.....﴾ سورة الكهف الآيات ٣٢ - ٤٤.

ونماذج هذه الطريقة في القرآن الكريم كثيرة كثيرة تمتد لتشمل معظم إن لم يكن كل ما ضربه القرآن من أمثال للناس.

أما من السنة النبوية المطهرة فاليك عزيزي القارئ نماذج لهذه الطريقة.

١- قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه الإمام مسلم: «من يسأل الناس تكثرا فإنما يسأل جمرا فليستقل أو ليستكثرا».

فالذي يسأل الناس وعنده ما يكفيه، لايسأل جمرا في الحقيقة، لكنه يؤول في الآخرة إلى جمر عقابا له على فعله، وقد جسد الرسول حكم من يسأل الناس تكثرا بهذه الصورة الحسية عند السامع، للمبالغة في زجره، فإذا تصور تلك الصورة في ذهنه تصور عند سؤاله بغير حاجة أنه إنما يمسك النار.

٢- ومن ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وسلم: «مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا منتنة».

وقد كنت أتمنى أن يقوم بعض الباحثين في طرق تدريس التربية الدينية بتقريب حقائقها المغيبة بصورة حسية من القرآن والسنة، فإن القرآن وكذا السنة يفسر بعضه بعضا.

نماذج من الهدى النبوى الشريف
في تأييد القول بالدليل والتعليل على صورة القياس والتنظير

١- روى البخارى أن امرأة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن أمى نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، افأحج عنها؟ قال: نعم حجى عنها، أرايت أن كان على أمك دين أكنت قاضيته قالت: نعم قال: أقضوا حق الله فالله أحق بالوفاء.

فقد دلل الرسول على صحة حج المرأة عن أمها بطريق القياس ليكون ذلك أوقع في النفس وأقرب إلى الفهم.

٢- جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إن امرأتى ولدت غلاما أسود فقال له النبى: هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: فما ألوانها؟ قال: حمر، قال: هل فيها من أورق؟ قال: إن فيها أورقا. قال: فأنى أتاها؟ قال: عسى أن يكون قد نزعه عرق. قال: وهذا عسى أن يكون قد نزعه عرق» رواه مسلم في كتاب اللعان (والأورق) الذى به سواد غير صاف، (والعرق) الأصل من النسب، (ونزعه) أشبهه.

٣- ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «وفي بضع أحدكم صدقة قالوا يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال نعم، أرايتم لو وضعها في حرام أيكون عليه وزر؟ قالوا: نعم. قال: فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر» والبضع يطلق على الجماع وقد يطلق على الفرج،

وكلاهما تصح ارادته، وفي الحديث دليل على أن المباح قد يكون طاعة بالنية، فالجماع يكون عبادة إذا نوى به الرجل أو المرأة قضاء حق كل منهما على الآخر، أو الاعفاف مثلا، وقد تعجب الصحابة من أمر إنسان يقضي شهوته ويتمتع ثم يثاب على ذلك.

وقد أتى لهم الرسول في استدلاله على صحة ذلك، بنظير للمسألة معلوم حكمه لديهم، فكما أن الإنسان يعاقب على الزنا، فإنه يثاب كذلك على الحلال.

نماذج من الهدى النبوى في
تصوير المعانى الدينية في إطار المفاهيم الشائعة

١- قال صلى الله عليه وسلم: المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يخذله ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربه من كرب يوم القيامة. ومن ستر مسلما على عرى ستره الله من خزى يوم القيامة.

٢- لم يكتف الرسول بوضع المفهوم (المعنى) الدينى في إطار المفهوم الشائع بين الناس ولكن الرسول سما بالمفهوم الشائع إلى مفهوم أعلى وأكمل ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتى من أتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام، لكنه يأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم يطرح به في النار» رواه مسلم في باب تحريم الظلم.

وقد وضع الفقهاء قاعدة كلية للتدريس وكذا للقضاء والفتوى في باب المباحات بالرجوع إلى أعراف الناس اللغوية والفعلية الصحيحة، أطلقوا عليها «العادة محكمة».

وبعد فهذه قراءة فقهية موجزة في تدريس التربية الدينية، آمل في يوم من الأيام أن تتاح لي الفرصة لبسطها، وأرحب بمن ينقدها نقدا علميا صحيحا بعيدا عن المهاترات والتعصب، والكمال لله وحده، ورحم الله من أهدى إلى نقدا هادفا.